



تجارب ودروس



وقوع المجهول يُسقط التحليلات ويُفشل المشاريع



أموال طائلة ينفقها رجال
الأعمال على دراسات
جدوى تؤكد نجاح
مشاريع.. سرعان
ما تقع في المجهول

التشريعات واستقبلنا استقبال الفاتحين.. وفي اليوم التالي عقدنا مجموعة من الاجتماعات التي هدفت إلى الاستثمار في ليبيا، فمُنحنا خلال ساعات ترخيص بنك إسلامي ورخصة طيران تجاري ورخصة إنشاء ميناء ورخصة بناء وإدارة مدينة لوجستية وحق امتياز بناء مشروع سكني تجاري ضخم في وسط طرابلس.. طبعاً كان الأمر أكبر من أن يصدق، لأن الأطراف الممثلين للجهات الليبية كانوا عبارة عن أناس بسطاء جداً كل مؤهلاتهم أنهم كانوا من الفريق المقرب من القذافي وأبنائه.. وعلى الرغم من هذا الوهم فإن الشركة قررت الاستمرار في متابعته حتى سقط حكم القذافي ونظامه وسقطت أفكار تأسيس الشركة. لو كنت قد استثمرت أموالك في جمهورية مصر العربية في يونيو الماضي اعتقاداً منك بأن الفرصة أصبحت مواتية بعد هبوط سعر الجنيه من 52 إلى 36 فلساً، لكنك فعلياً قد أصبحت ضحية لفخ المجهول. ففي شهر سبتمبر الماضي قررت الحكومة المصرية تعويم الجنيه، وهو مالم يكن متوقعاً، ووصل سعر الجنيه إلى 16 فلساً، ولو كنت استثمرت في يونيو اعتقاداً منك أنك تنتهز فرصة الهبوط في سعر الجنيه لكنك فعلياً خسرت أكثر من 50 في المئة من رأس مالك. بريطانيا العظمى ليست بعيدة عن مصر. على الأقل في ما يتعلق بالعملة. فمن استثمر في أبريل الماضي في عقارات بريطانيا، فوجئ بما لم يكن يحسب له حساباً، وهو التصويت الشعبي على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.. وخسر على إثرها الجنيه الإسترليني 18 في المئة من قيمته.

عندما تولى بشار الأسد حكم سوريا شهدت سوريا نوعاً من الانفتاح، فتشجع الكويتيون والخليجيون للاستثمار في سوريا، ونشطت الاستثمارات الكويتية في مناطق يعفور وكسب وصلنفا وبلدون، ولكنهم لم يعلموا بأن استثماراتهم تلك ستتحول إلى ثكنات عسكرية أو ملاجئ للأهالي من قصف الطيران أو هجمات المتقاتلين.

المجهول هو كل ما لا يمكن توقعه أو الإحساس به، وهو رهن بظروف بيئية أو سياسية أو اقتصادية طارئة وغير مألوفة، تنتج عنها في حالة وقوعها خسائر في الاستثمار.. لا تقلق مما يمكن توقعه بل احتسب لنائبات المجهول.

المهندس مشعل عبدالرحمن الملحم

لا يخاف العاقل مما يعلم، بل أشد مصيبته وأعظم قلقه هو مما جهل.
سقط أكبر المحللين وأعظم الخبراء في التحليل عندما هب عليهم المجهول بعواصفه. ينفق رجال الأعمال أموالاً طائلة لمصلحة شركات متخصصة في إعداد دراسات الجدوى لمشاريع يتضح لهؤلاء المتخصصين نجاحها، ولكن بمجرد إطلاقها فإنها تفشل. قد تفشل بسبب الإدارة، وقد تفشل بسبب المنافسة القوية أو بعض المتغيرات الطارئة في السوق، وهذا أمر قد يمكن السيطرة عليه أو تغييره، ولكن الأمر الذي لا يمكن تغييره هو وقوع المجهول، فأنت لا تعلم ما هو ولا فداحة أثره ولا موعد وقوعه ولا حدود آثاره وخسائره.

ولكن ما هو هذا المجهول؟

عندما تبدأ في دراسة الجدوى للاستثمار في مدينة ما، أو في عقار أو فرصة تجارية جديدة، فإنك دائماً تبني تصوراتك المالية على المعطيات المحسوسة والملموسة، ولكن المجهول يبقى أقوى من جميع الدراسات والتحليل. في العقد الماضي تفاعل كثيرون بإدارة رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان الراحل ونجاحه في تطوير مطار لبنان ووسط لبنان، فتراكض المستثمرون من كل حذب وصوب للاستثمار في بيروت وجبلها وسواحلها، ولكن ما إن انفجر موكب الحريري عند زاوية فندق سانت جيمس الشهير حتى تطايرت تلك المشاريع وتناثرت أوراقها ودراساتها في كل الدول الخليجية. شركة من الشركات الكويتية كانت قد طرحت اكتتاباً داخل السوق الكويتية لتطوير مشاريع عقارية ضخمة بجوار مبنى صحيفة النهار، واستثمر فيه الكويتيون من الأفراد والشركات.. لكن المجهول الذي لم تذكره دراسات الجدوى ولم يحسب حسابه خبراء التحليل المالي حدث، فانفجر الحريري وتلاشت معه أحلام المستثمرين.

عندما سقط نظام صدام حسين انطلقت في الكويت حملات التسويق للاكتتاب في شركات كويتية عملاقة ستدخل إلى العراق للمشاركة في بناء العراق الجديد، فسمعنا عن شركات بأسماء ذات دلالة عراقية تيمنا بجمال العراق وأمجاد ومعاله الشهيرة، ولكن المجهول كان أكبر. فمن أراد الحرية سقط في مستنقع الأمن، وفقد العراق حكومة وشعباً، والسيطرة على الحياة العامة وعاد العراق مئات السنين إلى الوراء، وسقطت معظم تلك الشركات.

في منتصف العقد الماضي، وبعد أن سادت أجواء

استثمارات كويتية تكبدت
خسائر في لبنان والعراق
وإيران وليبيا وسوريا
ومصر وبريطانيا



من الانفتاح الاقتصادي في جمهورية إيران، طرحت إحدى الشركات الاستثمارية شركة متخصصة في الاستثمار بجميع أنواعه في إيران، حملت اسماً ذا دلالة إيرانية، لكنها أيضاً صدمت بتراجع الانفتاح وتوتر الأوضاع السياسية مع دول الخليج، وبعض المشاكل الفنية الأخرى، ومنها صعوبة إخراج الأموال من الجمهورية وندرة المكاتب الاستشارية العالمية بسبب الحصار العالمي، ثم ارتأى مسؤولو الشركة أنذاك تغيير اسم الشركة لتحمل بعداً أكبر يشمل آسيا، ولكن الشركة تركت آسيا وتوجهت إلى أفريقيا، وما زالت الشركة حتى يومنا هذا تبحث عن هويتها المفقودة.

في عام 2006 رُفع الحصار الأميركي عن ليبيا، وبدأ القذافي في دفع التعويضات المالية لضحايا طائرة لوكيربي، فركبنا الطائرة الخاصة على نفقة شركة الاستثمار التي كنت أعمل بها، وتم فتح قاعة